ـاب داعية وليس نبياً

أخطاء البشر.

ومن هذا المنطلق فإنني وجدت الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - على فضله وأثره الدعوي الذي لا ينكره منصف- قد وقع في أخطاء أصبحت سنة متبعة عند بعض طلبة العلم؛ الذين أصبحوا يطلقون التكفير في حق علماء ودول وطلاب علم؛ بناءً على ما قرره الشيخ محمد في بعض كتبه ورسائله، وأصبح الواحد من هؤلاء يحتج بأن الشيخ كان يرى كفر هؤلاء العلماء، وكفر هؤلاء الحكام ؛ وكفر من هذه صفته...الخ.

والتمسك بكلام الشيخ رحمه الله في هذه الأمور تمسك بالخطأ، والخطأ لا يجوز التقليد فيه.

لكن بعض طلبة العلم لم يتنبه إلى مواضع هذا الخطأ، ويتهم العلماء الموجودين الآن بمجاملة غيرهم من العلماء والحكام في العالم الإسلامي، لأنهم لا يكفرونهم! بل وصل ببعضهم الحد إلى تكفير العلماء والحكام في هذه البلاد، فضلاً عن غيرهم من علماء وحكام المسلمين بناءً على ما كتبه الشيخ محمد، وهؤلاء المكفرون قد رددت عليهم في مقالات هادئة نشرت في بعض الصحف السعودية .وكان لي كتاب -لم يسمح له بالنشر- في الرد على هذا التيار بأسلوب هادئ وبراهين، أزعم أنها كانت مقنعة ونابعة من النصوص الشرعية.

وردي هذا ليس على ذلك التيار فقط، وإنما يستهدف الرد -بالدرجة الأولى- على أولئك الذين يحاولون أن يركبوا الجملين جميعا! فيردون على أهل التكفير ويغلون في الدفاع عن أخطاء أئمة الدعوة!.

أو بلغة أخرى نقول: يردون على هؤلاء الشباب الذين كفروا العلماء والحكام بأدلة العلماء الذين كانوا يردون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب! فكأنهم يردون على الشيخ محمد بهذه الطريقة التي تجمع بين الذكاء والغباء.

ونحن نقول لهم: إن الله حرم التلون وهو الظهور بوجهين وذم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الوجهين، فإن كنتم رادين على هؤلاء الشباب؛ فعليكم أن تردوا على بعض الأخطاء في التكفير التي وقع فيها الشيخ محمد وبعض علماء الدعوة.

وإن كنتم تدافعون عن الشيخ محمد وعلماء الدعوة فيجب أن تدافعوا عن هؤلاء، لأنهم مقلدون له ولبعض علماء الدعوة وستأتي النماذج.

وأنا بحمد الله -وإن أساء بي البعض الظنون[12]- لكن لي وجها واحدا وأرد على شبهات التكفير سواءً قالها خصم أو صديق، طالب علم أو عالم أو عامي.

وردي على هذه الشبهات آراه واجباً دينياً مع الاحتفاظ بحق الإسلام للجميع وحق خاص للشيخ محمد بن عبد الوهاب لسبب بسيط وهو أنه بشر يخطئ ويصيب.

وعندما يقوم بعض الباحثين بتعقب الشيخ في مسائل أخطأ فيها ليس نهاية الإسلام، ولا يعني القضاء على منجزاتنا العلمية والدعوية بالفشل، وإنما من حيوية دعوة الشيخ وقوتها أنها تنتج من أبنائها من يتعقب بعض أقواله التي اجتهد فيها فأخطأ.

وهذه ميزة العلماء الربانيين أنهم يعطون منهجا، ولا يلزمون أتباعهم باجتهاداتهم، وهذه الدراسة لو يسمح لها بالنشر لكانت من أكبر الأدلة في الرد على مزاعم كثير من المسلمين في العالم الذين يتهموننا بالتعصب للشيخ لا للكتاب والسنة.

وأنا على أمل - إن شاء الله- أن يجد هذا البحث القبول وأن يحسن طلبة العلم الظن، ويقرؤوا هذا البحث بإنصاف وينظروا ما فيه من حق فيتبعوه وما فيه من خطأ فيردوه.

لأسرة الشيخ خاصة:

وأنا أخاطب أسرة الشيخ خاصة وأقول لها:

الواجب عليكم أن تكملوا المسيرة، وتنتصروا للشرع وللحق؛ الذي أصاب فيه وهو الكثير الطيب إن شاء الله، لا للأخطاء التي وقع فيها الشيخ بحكم الطبع البشري؛ فهذا ما يريده الشيخ من أسرته الكريمة، وأتباعه والمحبين له، وقد قابلت بعض ذرية الشيخ رحمه الله ووجدت عندهم قبولا لنقد أخطائه وأخطاء علماء الدعوة أكثر من غيرهم، وهذا المأمول فيهم، وهذه تشبه أن أجد بعض أهل البيت ينكرون ما يفعله بعض الناس من الغلو في جدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فالحمد لله الذي أوجد في ذرية الإمام علي بن أبي طالب من ينكر الغلو الذي يعتقده كثير من الناس فيه وفي أهل بيته رضي الله عنهم جميعاً، والحمد لله الذي جعل في ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ينكر الغلو الذي يعتقده بعض من الناس فيه وفي ذريته رحمهم الله جميعاً، مع الفرق الكبير بين الرجلين؛ (الإمام علي والشيخ محمد)؛ لكن لا بأس من التشبيه من وجه من الوجوه.

وأقول أيضاً: هذه والله نصيحة محب للشيخ مقدر لجهوده وعلمه، ولا يجوز أن تسمعوا لمن يشكك في النيات، ويفسر نقدي هذا تفسيراً خلاف ما دونته هنا، ومن كان عنده شك أنني أكتب هذا لغير مصلحة الإسلام والعلم ولأهداف غير مشروعة ونحو هذا؛ فأنا مستعد لمباهلته لنجعل لعنة الله على الكاذبين.

فمن شكك أو فسر الموضوع تفسيراً سيئاً وذهب به مذهباً بعيداً فليستعد للمباهلة.

لأن بعضهم -للأسف- لا يجدي فيه أن تشرح أهدافك وتخبر عن نيتك وقصدك، فإن كان لا يقتنع بهذا حتى مع البيان والقسم فلا يجدي فيه إلا المباهلة.

لماذا كشف الشبهات؟!

ركزت على كتاب كشف الشبهات -نموذجاً- مما كتبه الشيخ؛ لأن هذا الكتاب على صغره يتميز بالوضوح، وتلقين الحجج والبراهين، ولوضوح الأفكار فيه، ولانتشاره الواسع بين كثير من طلبة العلم وأثره الواضح فيهم.

وأنا لن أعرج على محاسن الكتاب، لأنه سبق أن ذكرت فضل الشيخ وجهوده ودعوته، فما ذكره من محاسن في الكتاب يدخل ضمنا في هذا الكلام العام هذا أمر.

الأمر الآخر: أن هذه القراءة هدفها بيان الملحوظات والأخطاء، فهي تراعي أبرز الملحوظات المحورية التي تفسر انتشار التكفير في بعض كتبه وكتب من بعده من علماء الدعوة.

فكانت وظيفة هذا العمل أن أكشف سر وجود هذا التكفير وهذا السر كان عبارة عن (شبه من أدلة) وليست هوىً من الشيخ أو حباً لتكفير المسلمين -وإن كنت لا أغفل تأثير الظروف السياسية والخصومة المذهبية - وإنما كانت نتيجة استدلال بضعيف أو القطع في أمور ظنية أو استدلال غير صحيح من دليل ثابت أو نحو هذا مما لا يسلم منه بشر، وسيأتي مبيناً بشكل موسع.

وسأذكر لاحقا أبرز الأخطاء والملحوظات أيضاً لأن الخلاف فيها وليس الخلاف في الاعتراف فيما أصاب فيه والثناء عليه.

(يتبع يوم الأربعاء القادم)

هوامش:

[1] بل نرى بعض المتعصبين للشيخ يقبل بكل سهولة تخطئة كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي ذر وأمثالهم ولا يقبل تخطئة الشيخ، وهذا من الغلو في الصالحين الذي ننكره بحق، وإن وجدنا في هذا الإنكار الأذى من هؤلاء.

[2] وكان الشيخ يرى أن تقليد العلماء وإنكار تخطئتهم من باب اتخاذهم أرباباً من دون الله (الدرر السنية 2/9).

[3] قلت هنا: (العقائد) حسب التسمية السائدة، مع أن الأفضل استخدام لفظ (الإيمان) أو (الإيمانيات)، وغالباً ما أحاول الجمع بينهما.

[4] وربما تمت سرقتها من الحاسب، خصوصاً وأنه لم يكن عندي برنامج حماية ضد (سراق الانترنت= الهكرز) ولم أتخذ هذا البرنامج إلا بعد هذه السرقة، ولم أكن أنوي نشر هذا وإنما كنت أنوي إعطاءها بعض أسرة الشيخ رحمه الله، من باب النصيحة.

[5] وهذه النسخة لم تطبع كما يظن البعض ولم تزل مبيضة، وهي في الحقيقة (قراءة نقدية) وستأتي أدلتي على كلامي هذا، تلك الأدلة التي إن قرأها المختلفون معي بإنصاف وعدل وحب للحق ونبذ للتعصب بالباطل فإنني أجزم أننا سنتفق إن شاء الله.

[6] أخذت تلك الأقوال من كتاب (الدرر السنية) الذي جمعه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله.

[7] ومن علماء الدعوة الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية 8/433) وقد حاول الشيخ حامد الفقي أن يشكك في نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب! وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المتأخرين الشيخ صالح الفوزان، وقولهما هذا عجيب، فأغلب المذاهب تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذاهب، فالمذهب الحنبلي نسبة لحنبل جد أحمد بن محمد بن حنبل وهم لا يعترضون على هذه التسمية ولا يقولون بها، وكذلك المذهب الشافعي نسبة لشافع (جد الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع) والحنفية نسبة لأبي حنيفة واسمه النعمان، والأشاعرة نسبة للأشعر بن أدد بن زيد جد قبيلة الأشاعرة... وهكذا ولم يسم من المذاهب بأسماء مؤسسها إلا القلة كالمالكي (مالك بن أنس) والزيدية (زيد بن علي) والجعفرية (جعفر الصادق).

ثم الشيخ صالح الفوزان يطلق على أتباع محمد بن سرور بن نايف زين العابدين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (المحمدية) أيضاً!!

[8] هو القائل:

« لو كل كلب عوى ألقمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالاً بدينار! »

هذه المبيضة تلافيت فيها بعض الأخطاء الطباعية وهي الأكثر، والعلمية وهي الأقل، وأضفت فيها بعض الأبحاث المهمة وخاصة المقدمة، التي لم تكن في المسودة، وعلى هذا فمن كانت عنده المبيضة فلن يجد جديداً في هذه المذكرة، أما من وصلته المسودة فلابد أن يتخلى عنها ويعرف رأيي في الموضوع من هذه المذكرة ولا أحل لأحد أن ينسب إلي بعض الآراء في المسودة المنشورة بلا أذن مني ولا إقرار لكل ما فيها، خصوصاً وأن فيها أخطاء حاسوبية جعلت بعض الإجابات عند غير الأسئلة الخاصة بها فبد بعض الكلام فيها كم قال بعض الأخوة (ليس له زمام ولا خطام).

[9] بل معظم (المسائل الجاهلية) التي كتب فيها الشيخ كتاباً يجب أن يراجع الغلاة من أتباعه أنفسهم فيها ومن أبرزها على سبيل الاختصار:

- إن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد!! فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم..
- ومن أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر!! ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله!!!..
- الاحتجاج بالمتقدمين كقوله تعالى (فما بال القرون الأولى)؟! فهذا مثل قول بعض غلاة السلفية (من سبقك إلى هذا؟!)
- الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال.
- الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء!!
- الغلو في العلماء والصالحين.
- اتباع الهوى والظن والأرض عما أتاهم الله.
- اعتذارهم عن اتباع ما أتاهم الله بعدم الفهم (وقالوا قلوبنا غلف)؟
- نسبة باطلهم إلى الأنبياء.
- تناقضهم في الانتساب فيدعون الانتساب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتركون اتباعه؟!
- قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين.
- إن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه!! (نحن أكثر أموالا أولاداً وما نحن بمسبوقين)؟!
- ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفه!
- الاستدلال على بطلان الحق بسبق الضعفاء (لو كان خيراً ما سبقونا إليه).
- أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم!!
- أنهم مع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم!!
- كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه!
- إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم.
- إن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)؟
- التعبد بتحريم الحلال!
- التقيد باتخاذ الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله!
- معارضة شرع الله بقدره!!
- التعصب للمذهب.
- تحريف الكلم عن مواضعه.
- تلقيب المخالفين بألقاب باطلة (قلت: كوصفهم من أحل علياً بالتشيع ومن نفى التجسيم بالجهمية ومن رد أخطاء بعض العلماء بالطعن في العلماء).
- التكذيب بالحق.
- افتراء الكذب على الله.
- كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قال (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض)؟!
- رميهم الصالحين بانتقاص دين الملك..
- رميهم إياهم بتبديل الدين..
- تركهم الواجب ورعا!!
- تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.
- دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.
- دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه.
- المكر الكبار.
- أن أئمتهم إما عالم فاجر أو عابد جاهل.
- تمنيهم الأماني الكاذبة.
- دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.
- الفخر في الأحساب.
- الطعن في الأنساب.
- أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما.
- أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره.
- تعيير الرجل بما في غيره.
- عظمة الدنيا في قلوبهم.
- رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا.
- ليس الحق بالباطل.
- كتمان الحق مع العلم به.
- القول على الله بلا علم.
- التناقض الواضح.
- الإيمان ببعض المنزل دون بعض.
- مخالفتهم فيما ليس لهم به علم!!
- دعواهم اتباع السلف!! مع التصريح بمخالفتهم.

[10] وهكذا احتكر غلاة الوهابية الدفاع عن الوهابية، مثلما احتكر النواصب (وغلاة السنة فيهم نصب) الرد على الشيعة والنطق باسم السنة، ومن ثمّ أخذوا يلمزون علي بن أبي طالب وأهل بيته باسم السنة! ويثنون على معاوية ويزيد وشيعتهم باسم السنة! - كما نفعل في كثير من رسائلنا الجامعية!-، ثم أصبح من ينقدهم معرضاً للاتهام بالتشيع والرفض! مثلما أصبح من ينقد غلاة الوهابية معرضاً للاتهام بمخاصمة الدعوة السلفية، وربما مخاصمة الإسلام! فهذا كله يحدث لسبب بسيط؛ وهو أن الغلاة هم المتصدرون في الدفاع والبيان، فدافع عن السلفية من ليس سلفياً، ودافع عن السنة خليط من السنة والنواصب، والمدافعون أو المبينون غالباً يكون لهم الصدارة في التحدث باسم المذهب أو الحركة أو التيار، ويكتسبون الاعتراف مع الزمن، ويرتضون الجوار! ثم تأتي مرحلتهم الثانية بإخراج أهل المنزل الأصلي، وهذه السنة الحياتية موجودة في المذاهب والقبائل.

[11] مع التحفظ على لفظة (العقيدة) لكنني أخاطب بالمفهوم الشائع، أما اللفظ الشرعي فهو (الإيمان) وقد هجرنا هذا اللفظ الشرعي وجعلنا مكانه هذا المصطلح (المستحدث)، لأن المصطلح المستحدث (العقيدة) وهو مصطلح فضفاض غير محدد إلا من أقوال الغلاة، ولذلك يحرص الغلاة على التحاكم هذا المصطلح (المستحدث) لأنه يتيح لهم ظلم الآخرين من استحلال دمائهم والحكم عليهم بالنار، كما فعل غلاتنا مع الأشاعرة والصوفية وأبي حنيفة وأصحابه والمعتزلة والشيعة والإباضية وغيرهم من المسلمين، ولا يمنع غلاتنا من ظلم هؤلاء إلا العجز، وهذا الظلم منبعه (كتب العقائد) لاعتمادها على أقوال الرجال وتأثرها بالخصومات وهجرها النصوص الشرعية، بخلاف (الإيمان) فهو مقيد بالنصوص الشرعية، وقد توسعت في هذا الموضوع في كتاب (قراءة في كتب العقائد - مطبوع).

[12] وهذا أمر طبيعي لا ننزعج منه، فكل من أراد الإصلاح لا بد أن يجد المصاعب، فمن سنة الله في خلقه أنه ما من نبي ولا مصلح ولا آمر بالمعروف إلا ويسيء به البعض الظنون.

الواقع.. ومفاهيم الهيئة

تركي بن عبد الله السديري

قدمت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر مفاهيمها الخاصة عما هو "المعروف" وما هو "المنكر" حيث في حالات تصادم كثيرة مع المجتمع أو مع الثقافات يبدو أن هناك خللاً مخجلاً في هذا المفهوم..

قدمت الهيئة صورة قاتمة عن الوعي والثقافة في المملكة إثر ما فعله بعض منسوبيها يوم أمس الأول في جامعة اليمامة عندما عزلت النساء البريطانيات والسعوديات بعيداً عن المكاتب والعروض التي أقيمت باشتراك ستين جامعة بريطانية لطرح المعلومات عنها لمن يريد من الطلبة والطالبات بحجة أن ما يحدث هو اختلاط يجب إيقافه..

أولاً.. أرجو أن يفهم الأخوة الأفاضل في التعليم والثقافة والإعلام البريطاني أن ما حدث لا يمثل ثقافة المجتمع السعودي، فليس هناك عزل للمرأة، وهم يعلمون سنويا في مطاعمهم وفنادقهم وحدائقهم كيف أن المرأة السعودية تتصرف بمفردها وتدخل التجمعات التجارية أو الفنية أو الثقافية مع زميلاتها أو بمفردها، ولذا فإن التصرف الذي حدث لا يمثل أي نسبة مقبولة من تعداد السكان في المملكة..

عندما أعود إلى الهيئة التي لم يعاقب أي متجاوز فيها بجزاءات معلنة ومعروفة عند أحد بما في ذلك لو حدث موت بسبب تهشم الرأس أو تدمير أسرة بسبب التشهير وتعميم الفضيحة..

عندما أعود إلى الهيئة التي نجحت في جانب ساندت به أجهزة الأمن بتعقب المخدرات لكن بفضل وعي الأمن وكفاءة العاملين فيه وفشلت في قبول عضوية المجتمع لها بسبب خروجها المستمر عن الموضوعية وتوريط المجتمع بتصرفات مع عناصر أجنبية غير معقولة إطلاقا، حيث أذكر قبل أربع سنوات تقريبا أن وصلت مكتبي سيدة هولندية تشكو من أنه قبض عليها لأنها لم ترتدِ العباءة..

بينما كانت تتجه لشراء العباءة وتتساءل: ماذا أفعل؟.. إنهم في الطائرة لا يبيعون العباءات..

سيدة أوروبية أخرى قُبض عليها مع مرشد سياحي بتهمة الخلوة المحرمة حيث كان يشرح لها عن الموجودات قريبا من فريقها.. مثلها سيدة الأعمال في مقهى.. الأمثلة كثيرة، كثيرة جداً..

المؤسف المضحك هي رؤيتنا لأنفسنا عبر المصداقية أو الكذب من خلال تناقض تصرفاتنا.. ففي الداخل معظمنا شيء مختلف تماماً عما عليه في الخارج..

هل تتلطف الهيئة فتقبل دعوة عشرة من أعضائها للسفر بهم بدءاً من القاهرة مروراً بروما ومدريد ولندن وباريس ولوس أنجلوس وكوالالمبور وسيدني كي يتأكدوا أن السعوديين في هذه المدن لا يلتزمون إطلاقاً بعدم الاختلاط، إنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ويقضون أوقات فراغهم في مواقع يختلط فيها الرجال بالنساء، وكثيراً ما نجد النساء السعوديات يتواجدن وحدهن فرادى أو جماعات.. ثم نعرّج إلى عدد من الجامعات الدولية وسيجدون أن ما لا يقل عن خمسة آلاف طالبة سعودية يدرسن على مقاعد مجاورة لمقاعد الشباب وفي صالة واحدة بكل قسم في أي جامعة..

تشلح السيدة السعودية عباءتها عند إقلاع الطائرة وتلبسها عند بدء الهبوط.. الصور مضحكة أليس كذلك؟..

طبعاً لا نقبل أن يقولوا هذا يحدث في الخارج أما في بلادنا فلا.. عليهم تحديد ما يقصدونه بكلمة "بلادنا" لأن من تخصهم المواطنة هم أكثرية غير مقتنعة بتصرفاتهم..

28 يناير 2009

رئيس تحرير صحيفة "الوطن" السعودية- رئيس اتحاد الصحافة الخليجية

أرادها الإسلام إنسانة..وأرادها بعض الفقهاء متعة

حصة بنت محمد آل الشيخ

ضمن تجليات التراث المجيد،المعبرة عن عمقه الممارس لكافة أنواع التمييز بين المرأة والرجل،يتعدى هوس الرجل للاستمتاع بالمرأة حدود الإنسانية والخلق والأدب،فتراه ينزع عنه لباسه ليرينا سوءاته الفكرية تجاه المرأة،بانسياقه خلف همجيته الجسدية الفائقة كل التصورات.

ففي زاد المستقنع للفقيه الحنبلي البهوتي: "أن الزوج لايلزمه كفن امرأته ولو كان غنيا،لأن الكسوة وجبت عليه بالزوجية والتمكن من الاستمتاع وقد انقطع ذلك بالموت "ولا يلزم الزوج بشراء دواء لزوجته أو دفع أجرة الطبيب"ويشرح ابن قاسم:بتوصيف المرأة بالبيت المستأجر:"لأن العلاج يراد لإصلاح الجسم كما لا يلزم المستأجر بناء ماتهدم من الدار"!

ويضيف(المحلى بالآثار)المسألة(571)معللا:"لأن أموال المسلمين محظورة إلا بنص قرآن أو سنة،مستشهداً بقوله عليه الصلاة والسلام"إن دماءكم وأموالكم حرام"وكأن زوجته عدوٌ له.

ويستمر هذا التأسيس الفقهي المخجل بشرح مذهبي واف في(موسوعة الفتاوى)رقم 61717 بتاريخ30 / 3 /1426تكمن المشكلة في تناول أقوال رجال باعتبارها مقدسا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،والمشكلة الأهم أننا مازلنا نعاني تأثيرها في التأسيس لدونية المرأة،وتلك الكتب شاهد على مكانتها في مجتمع مازال يطبعها ويدرسها ويتناولها بكل احترام وتبجيل.

وبقراءة كتب الفقه نفهم سبب قهر المرأة الإنساني العام الذي أفرزه الفقه الذكوري حيث يعدّها من المتاع بل من سقطه، في تفسير عابث مضلل للعلاقات الإنسانية،ومناقض للآيات الكريمة المؤسسة لقيم العدل والمساواة، والمهيئة لنفوس تحمل الأمانة وتعمر الأرض وهي تزهو بصحتها النفسية والجسدية،يقول تعالى(وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم...)

فالإسلام يطالب الرجل بمناصفة المهر لمن لم يُدخل بها،بينما ينسف التراث كل الفضل بحرمان المرأة حقوقها في الصحة والحياة وبعد الموت بمجرد توقفها عن إمتاع الرجل جسدياً،ناسفاً العشرة في علاقة تجافي الروح وتتجافى عن المودة والرحمة والسكنى.

الجميع يتحدث عن الإسلام دون أن يخامر أحدهم أنه يطرح في الحقيقة فهمه للإسلام أو لنصوصه،وحتى الاستناد إلى آراء القدماء واجتهاداتهم أصبح هو الآخر استناداً إلى الإسلام،الذي كثيراً ما تضاف له كلمة(الصحيح) فصلا له عن الزائف الذي يمثل اجتهاداً آخر.

يؤدي التوحيد بين الفكر البشري والدين إلى التوحيد بين الإنساني والإلهي،وإضفاء قداسة على الإنساني والزماني،وذلك يفسر لنا التردد في تخطئة كثير من آراء علماء الدين بل والتستر أحياناً على هذه الآراء وتبريرها.

فتاريخ الإسلام شهد تعدداً في الاتجاهات والتيارات والفرق لأسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية،صاغت مواقفها بالتأويل والاجتهاد في فهم النصوص،ولا بأس؛إنما البأس هو التوقف عند هذه الأقوال وممارستها على سبيل التبجيل والقدسية لا على سبيل النقد والتقييم.

وتجديد التراث مطلب يوجب إعادة تفسيره طبقاً لحاجات العصر،والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية لتفسير الواقع والعمل على تطويره..هو نظرية للعمل وموجّهٌ للسلوك وذخيرة يمكن استغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض.

عن/ صحيفة "الوطن" السعودية
22 ديسمبر 2008

فتاوى"إكسبريس".. جرائم "إكسبريس"

حليمة مظفر

خلال سبعة أيام هي عمر الأسبوع الماضي كانت الصحف السعودية تشهد فورة إخبارية عن جرائم بشعة ارتكبت ضد المرأة وفتاوى تتعلق بحياة المرأة السعودية، وأقول المرأة السعودية لأنها الوحيدة التي تكلف وتلزم بالموجبات والمحرمات القبلية والاجتماعية مما يسقط عن غيرها من المسلمات الأخريات.

ولأعود إلى صلب الموضوع، ففتوى أجازت لها أخيرا السفر دون محرم أطلقها الشيخ العبيكان، وفتوى أخرى حرمت عليها استعمال الأشمغة في ملابسها منعا لتشبهها بالرجال، فيما أجاز أخيرا الشيخ الغيث رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملها في المحلات التجارية النسائية بعد رفض طويل غير صريح وغير مباشر ألقى أثره على كاهل الفقيرات اللاتي أصبحن يدرن في الشوارع كمندوبات تسويق أو كمتسولات، لتتحمل بعد ذلك المسؤولية وزارة العمل التي اختبأت خلف ظهر الجليد أثناء موجة الرفض دون موقف حازم لتحريك المياه الراكدة لصالح عمل المرأة في هذه المحلات النسائية.

في ظل هذه الفتاوى «الإكسبريس» التي تهتم بما ترتديه المرأة وعملها دون مبالاة بكونها جائعة أو عارية يقرص عظامها البرد في بيوت الصفيح التي نعرفها؛ كان أب «مجرم» قد نحر ابنته المثالية وثقب جسدها بطعنات بشعة ليمنعها من الدراسة في كلية الطب لخوفه من»الاختلاط»، فيما ابن عاق ومقزز يهتك عرض أمه ويغتصبها لمنعها إياه الزواج، فيما يحكم قاض بعدم فسخ زواج الطفلة ذات الثماني سنوات حتى بلوغها وبقائها على ذمة الخمسيني الذي اشتراها بماله، بينما يحول زوج سعودي جسد زوجته وأم أطفاله إلى أشلاء على طريق إسفلتي بمدينة الرياض بعد أن جرها بسيارته ثم دهسها مرات ليقتلها أمام منزل عائلتها، وكل ذلك خلال أسبوع واحد فقط.

مفارقة عجيبة إذن هذه التي تعيشها المرأة السعودية عندنا، بين ما يمارس في حقها من جرائم الوأد الجاهلي وما يتوجب عليها عمله واستقباله من هذه الفتاوى التي لا تراعي إن كانت حتى جائعة، وفي ظل هذه الموجة المحمومة خلال أسبوع لم أجد أحدا من كبار العلماء أو من أصحاب الفتاوى ذاتها يخرج في الصحف السعودية بتصريح مباشر يجرم هذه الممارسات البشعة ضد المرأة ويصدر فتوى تحرمها وتؤكد على حقها في الحياة والعمل والاختيار لشريك حياتها، خاصة تلك الجرائم التي يكون سوء الظن بشرفها وعرضها سببا لبشاعتها وهلاكها وهو ما نحتاجه حقا إن كنا أردنا أن نصدر هذه الفتاوى.

وبصراحة، وأقولها ورزقي على الله، كثرة هذه الفتاوى «الإكسبريس» لا تظهر لنا إلا أننا أصبحنا لا نؤمن بالمنطق العقلي الذي جاء القرآن الكريم في كثير من آياته يخاطبنا به، وأننا كمجتمع في وضع فكري حرج ، خاصة أنها وصلت للأشمغة وقتل «ميكي ماوس» وتناست دورها الحقيقي في قيادة التغيير والإصلاح الاجتماعي، وأمنية أتمناها مع نهاية 2008 أن تكون الفتاوى التي تطاولت كتطاول البنيان في بلادنا سببا لقيادة الإصلاح الاجتماعي الذي نحتاجه، وأول أسباب ذلك هو إصلاح شؤون المرأة السعودية وتطوير وضعها بفتاوى تعطيها حقها في الحياة وحقها في العمل ككائن كامل الأهلية... ويكفينا وقوفا في آخر الطابور رجاء!.

عن / صحيفة «الوطن» السعودية
25 ديسمبر 2008